

ألف حكاية وحكاية (٣٩)

أم فوق الجليد

وحكايات أخرى
يروئها
يعقوب الشارونى



مكتبة مصر

رسوم
عبد الرحمن بكر

أم فوق الجليد

في نهاية القرن الماضي، أثناء فصل شتاءٍ شديد البرودة، كانت هناك عربة تجرها الخيول، تعبرُ أحدَ الممرَّاتِ الضيقة الطويلة في جبال الألب، وبداخلها سيدةٌ مع طفلها الصغير. وفجأةً انخفضت درجة الحرارةً جدًا، فالتفت السائقُ، فرأى السيدة قد أوشكت أن تتجمدَ من البرد. وحاول أن يُنبِّهها، فلم يستطع، فأدرك أن البرد يحدُّرُ جسمها، وأنه إذا لم يُسرِعْ بعلاجها، فستموت.

عندئذٍ سارع وأخذَ الطفلَ منها، ودلَّكَ جسمه جيدًا، ثم لفَّه بأغطيةٍ صوفيةٍ ثقيلة، ووضعه في ركنٍ من العربة. ثم حملَ السيدة، ونزلَ بها من العربة، وظلَّ يجذبُها بعنفٍ فوق الثلج، حتى تنبَّهت قليلًا وهو يصيحُ بها:

"تنبَّهِي، وإلا فلن تشاهدي ابنك بعد الآن !!"

فصاحت في لهفة:

"ابني... أريدُ ابني..."

عندئذٍ تركها السائقُ، وعادَ إلى العربة، وانطلقَ بها، لكن بسرعةٍ

معقولة.



وبدأت الأم تجرى وراء العربة وهي لا تزال تحت تأثير البرد
المُخدر، وصورة ابنها أمامها، كأنما تجذبها بحبال خفية.
وأخيراً تنبّهت تمامًا، وأخذت تجرى بكل قواها وهي تصرخُ
وتقول:

"ابنى.. ابنى.. خطفوا ابنى!"

فلما تأكّد السائق أنها استردّت كامل وعيها، واطمأن إلى أن
الجرى والحركة قد أعادا النشاط إلى دورتها الدموية، أوقف العربة
وأركبها.



وعندما احتوتِ الطفلَ ثانيةً بينَ ذراعَيْها ، وهى تضمُّهُ إلى صدرها، التفتتْ إلى السائقِ ودموعُ الشكرِ تملأُ عينيها ، وقالتُ:
" لقد ظننتُ أنكَ تريدُ أنَ تخطفَ ابنى .. وملاؤنى هذه الفكرةُ بالقوةِ والعزيمةِ ... بل بأقوى القوةِ ، وبأشدَّ العزيمةِ ، فوجدتُ نفسى أنسى الضعفَ والبردَ ، ويزايلُنى الخدرُ والإعياءُ ، وانطلقتُ أجرى كما لم أجِرْ من قبلُ فى حياتى ... وهكذا أنقذتُنى من الموتِ . "

قالَ السائقُ:

" بل أنقذَكَ حبُّكَ لابنِكَ ، ولهفتُكَ عليه . "



لماذا فَقَدَتِ الثمار والأغصان ؟!!

كَانَتْ هُنَاكَ حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ ، مَمْلُوءَةٌ بِأَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ ، وَمُحَاطَةٌ بِسُورٍ مُرْتَفِعٍ . وَفِي الرَّبِيعِ كَانَتْ الْأَشْجَارُ وَالنَّبَاتَاتُ تَكْتَسِي بِالأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ . وَفِي الصَّيْفِ ، تَمْتَلِئُ بِالثَّمَارِ . وَكَانَتْ مِنْ بَيْنِهَا شَجَرَةٌ مَانِجُو .

قَالَتْ شَجَرَةُ الْمَانِجُو ذَاتَ يَوْمٍ : "لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ أَظِلَّ مُخْتَبِئَةً فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ ؟!! أُرِيدُ أَنْ أَمْدَّ فُرُوعِي إِلَى الطَّرِيقِ ، لِكَيْ يَرَى الْجَمِيعُ وَفْرَةَ ثَمَارِي ."

وَهَكَذَا أَخَذَتْ تَمْدُدُ فُرُوعَهَا الْجَمِيلَةَ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ فَوْقِ السُّورِ ، حَتَّى يَرَاهَا الْجَمِيعُ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا أَصْبَحَتْ فُرُوعُهَا مُحْمَلَةً بِالثَّمَارِ ، بَدَأَ الرَّائِحُونَ وَالْغَادُونَ يَقْطِفُونَهَا . . وَعِنْدَمَا لَمْ تَتِمَكَّنْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الثَّمَرِ ، كَانُوا يَسْتَخْدِمُونَ الْعِصَى أَوِ الْأَحْجَارَ !!

وَحَالَامَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ ، كَانَتْ شَجَرَةُ الْمَانِجُو ، الَّتِي ضُرِبَتْ بِالْعِصَى وَرُجِمَتْ بِالْأَحْجَارِ ، قَدْ فَقَدَتْ الثَّمَارَ وَالْأَوْرَاقَ !!

قَالَتْ الشَّجَرَةُ لِنَفْسِهَا ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ فُرُوعَهَا الْمَشْوَّهَةَ الْمُدَلَّاةَ خَارِجَ السُّورِ :

"لقد أخذتُ أتباهي بما عندي في غير ضرورة ، فأثرتُ في

نفوس الآخرين الرغبة في تحطيمي ، والاستيلاء بأية وسيلة على كلِّ

ما عندي !!"

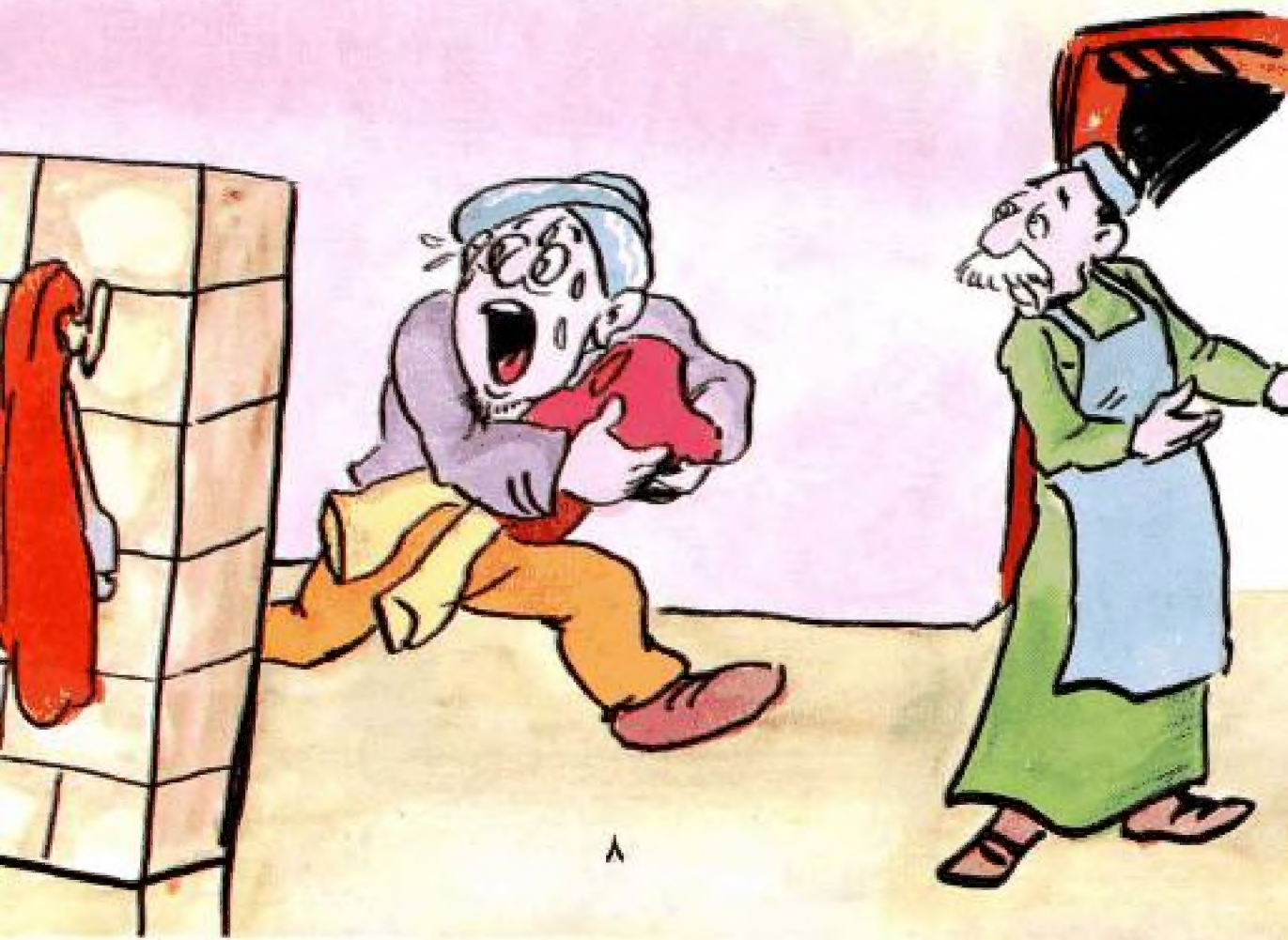


جحا يعلم !!

دخل جحا إلى الحمام العام ، وعندما تأهب للخروج ، اكتشف
أن ثيابه قد سُرقت ، فرفع صوته صائحاً :
" أنا أعلم ... أنا أعلم ... "

فسمعه اللص ، ففزع إذ ظن أن جحا قد عرفه .
وفي هدوءٍ اقترب اللص من جحا ، وأعاد إليه ملابسه وهو يقول

له :



"سمعتك تقول إنك تعلم، فما الذي كنت تعلمه؟"

أجاب جحا:

"كنت أعلم أنني بغير ثيابي، سأموت من البرد!!"



شبر واحد !!

تحكى كتبُ العربِ ، أن الأصمعيّ ، عالمُ اللغةِ (٧٤٠-٨٣١م) ،
دخلَ ذاتَ يومٍ على الخليلِ بنِ أحمدَ ، وهو أستاذُ الأصمعيّ في
علومِ اللغةِ (٧١٨-٧٩١م) ، وكانَ جالسًا على حصيرٍ صغيرٍ ، فقالَ له
الخليلُ مرحبًا :

"تفضّلْ ، تعالَ اجلسْ بجوارى ."

فقالَ الأصمعيّ :

"أخافُ أن أضيقَ عليكَ المكانَ ."

قالَ الخليلُ وهو يبتسمُ :

"الدنيا بأسرها لا تسعُ مُتباغِضينَ ، ولكنَّ شبرًا واحدًا يسعُ

مُتحابّينَ !!"



عشرات من الساعات

بعد أن افتتح المخترع الكبير "توماس إديسون" مصنعه الأول بفترة قصيرة ، لاحظ أن العمال اعتادوا النظر دائماً إلى الساعة الوحيدة المعلقة على حائط المصنع ، وكأنهم يتعجلون الانتهاء من عملهم .

شعر إديسون بالضيق ، لكنه لم يُصرِّح باستيائه لمستخدميه ، بل أحضر عشرات من الساعات ، وعلقها في كل أنحاء المصنع ، وجعل كل ساعة تُشير إلى وقتٍ يختلف عن الوقت الذي تُشير إليه الساعات الأخرى .

ومنذ ذلك الوقت ، وجد العمال أن النظر إلى ساعات المصنع يُسببُ لهم ارتباكاً شديداً ، فلم يعد أحدٌ منهم يهتم بالنظر إلى الساعة.



إنهم يرفضون الدواء

يُحكى أنه فى جزيرة بعيدة ، كانت تعيش ساحرة ، اعتادت أن تحول كل رجل ينزل على جزيرتها إلى حيوان متوحش . إلا أن قائد سفينة توصل إلى شراب يوقف عمل سحر الساحرة ، فلا تستطيع تحويله إلى وحش ، بل كان يستطيع أيضًا بهذا الشراب ، أن يعيد وحوش الجزيرة إلى أصلها الإنسانى .

نزل الربان إلى الجزيرة ، وفى سعادة ذهب إلى الأسد ليُعطيهِ من الشراب الذى يبطل سحر الساحرة . لكن الأسد لم يُرحب بأن يتذوق ذلك الشراب .

قال الأسد : " لقد كنتُ مجرد عامل فقير ، لا قيمة لى . والآن أصبحت ملكًا على كل الحيوانات ، تهابنى وتخاف منى . سأبقى كما أنا . "

وذهب الربان إلى الدب . قال الدب : " حقًا . لقد كنتُ إنسانًا .. ولعل شكلى كان أفضل ، لكنى لم أجد فتاة ترضى بى زوجها ... أما الآن ، فقد تزوجتُ دبةً تطيعنى ، ونحن نعيش معًا فى هدوء ! " هنا ارتفع صوت ثالث يقول :

" وأنا أيضًا أرفض أن أعود إنسانًا . لقد أصبحتُ ذئبًا ، وأصبح

من حقِّي أن أفترسَ ما أشاءُ من حمَلاَنٍ وخرافٍ . لماذا أعودُ إنسانًا ،
فيمَنَعَنِي القانونُ من الاستيلاءِ على دجاجةٍ ؟! "
عندئذٍ قالَ الرِّبَانُ لِنَفْسِهِ في أسفٍ وأسى : " الآنَ فهِمْتُ لماذا
يتحوَّلُ بعضُ الناسِ إلى وحوشٍ ! "



وفاء الصقر و الديك

تَقَابَلَ صَقْرٌ وَ دِيكٌ ، فَقَالَ الصَّقْرُ لِلدِيكِ :

" يَا دِيكُ ، أَنْتَ قَلِيلُ الْوَفَاءِ . "

قَالَ الدِيكُ : " لِمَاذَا تَقُولُ هَذَا عَنِّي ؟ "

قَالَ الصَّقْرُ :

" إِنْ أَصْحَابُكَ يَأْخُذُونَكَ وَأَنْتَ مُجَرَّدُ بَيْضَةٍ ، فَيَهْتَمُّونَ بِكَ إِلَى

أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا فَرْخًا صَغِيرًا ، ثُمَّ يُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

لَكِنَّكَ مَتَى كَبُرْتَ ، لَا تَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِالِاقْتِرَابِ مِنْكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ

أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَقْتَرِبُ مِنْكَ فَإِنَّكَ تَطِيرُ وَتَصِيحُ ، وَتَقِفُ فَوْقَ

الْحَوَائِطِ الْعَالِيَةِ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ يَدَيْهِ .

أَمَّا أَنَا ، فَيَأْخُذُونَنِي مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرْتُ سِنًى ، وَلَا أَكُلُ

كَثِيرًا ، وَيَرْبِطُونَنِي يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ يُطْلِقُونَنِي عَلَى الصَّيْدِ ، فَأَطِيرُ

إِلَيْهِ ، وَأَمْسِكُهُ ، وَأَرْجِعُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي ..

إِنَّهُمْ يَبْذُلُونَ مَعَكَ جَهْدًا كَبِيرًا ، ثُمَّ تَهْرَبُ مِنْهُمْ . أَمَّا أَنَا فَلَا

يَبْذُلُونَ مَعِيَ تِلْكَ الْعَنَاءَةَ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَلَا أَخَافُ ، وَلَا أَهْرَبُ مِنْهُمْ . "

فَقَالَ الدِيكُ :

" لَوْ أَنَّكَ رَأَيْتَ مِنَ النَّاسِ مَا أَرَى ، لَكُنْتَ أَسْوَأَ حَالًا مَنِّي عِنْدَمَا

يَقْتَرِبُ أَحَدُهُمْ مِنْكَ . فَلَوْ أَنَّكَ رَأَيْتَ صَقْرًا يَشْوُونَهُ عَلَى النَّارِ ، لَمَا

رَجَعْتَ إِلَى أَصْحَابِكَ أَبَدًا .. "



أكلها إلا واحدة

بعد أن بحتِ الأمُّ كثيرًا في المطبخ ، نادَتْ طفلها "هشام" ،
وسألتُه :

" لقد وضعتُ ثلاثَ تفاحاتٍ في أحدِ أدراجِ دولابِ المطبخ ،
لكنني وجدتُ منها تفاحةً واحدةً فقط . هل تعرفُ السببَ ؟ "
وفي بساطةٍ أجابَ هشام الصغيرُ :
" لأنَّ المطبخَ كانَ معتمًا ، فلم أجدُ هذه التفاحةَ الثالثة . "

